جهود المحدثين في الدراسات العربية

تحديات وحلول

CONTRIBUTION OF THE COMMENTATORS OF HADITH TO THE ARABIC STUDIES

مُحَمَّد شفاء الرحمن*

ABSTRACT:

Since the dawn of Islam the narrators and commentators of Hadith tried their best to explain the Arabic texts specially the Qur'an and Hadith. It resulted in birth of several books of the commentary of the Hadith which are well-known to those who are acquainted with the Arabic language and literature and have concern over any unwanted change to this pious language. Their attempts of contributing to the Arabic and Islamic Studies continued till the modern period either in shape of voluminous books or in shape of small treatises and research papers. They really deserve to be appreciated by the researchers and their great efforts must be applauded. This paper is a humble effort to pay thanks to them and to shed some lights on their great contributions. And it is their sincere and selfless services that always save the Arabic languages from any unwanted attacks.

KEYWORDS: Arabic Language, Efforts, commentators of Hadith, Challenges, Solutions, Proposals, Twenty-first Century.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، وجهود المحدثين في الدراسات العربية، والمشاكل والتحديات، وحلول ومقترحات، القرن الحادي والعشرون.

ملخص البحث:

إن اللغة العربية هوية الأمة العربية والإسلامية وكيانها، وهي لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر والأدب العربي، والحضارة العربية الإسلامية، ناهيك عن ثروة

* باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

مفرداتها وغنى تراكيبها وأصالتها. وبعيدًا عن هذا وذاك، فهي لغة القرآن والسنة، وتعرضت ومازالت المحاولات لتشويهها وإضعافها، فظهرت مصطلحات بدأت تتغلغل إلى الغة العربية خاصة في الإعلام والإعلان مما يرسخها في الأذهان خاصة الأجيال المقبلة.

ونظرا إلى أهمية اللغة العربية ومكانتها يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المشاكل التي واجهت اللغة العربية على مر العصور، ولا سيما في القرن الحادي والعشرين، ومحاولة معرفة الأسلوب الجيد لحفظ اللغة العربية، وانتهى البحث إلى ذكر جهود العلماء المحدثين الذين تركوا لنا تراثاً ضخما غزيرا في عشرات المصنفات في اللغة العربية، حتى أصبحت هذه الأمة تمتلك بحق أغنى مورد للعلم عرفته البشرية باختلاف مللها ونحلها. فجزاهم الله خير الجزاء على هذه الجهود الجبارة المباركة التى بذلوها، لحل المشاكل التي تواجها اللغة العربية، والسبل الكفيلة في مواجهة هذه التحديات، وإلى ذكر المقترحات لدعوة اللغة العر بية للوقوف في وجه التحديات، ومنها إعادة الثقة في اللغة العربية، وغرسها في نفوس أبنائها لمواجهة الهجمة الشرسة عليها، والعمل على مواكبتها للعلوم العصرية، وجعل اللسان العربي المبين لغة الخطاب والتأليف وما إلى ذلك.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

فإن اللغة العربية هوية الأمة العربية والإسلامية وكيانها، وهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر والأدب العربي، والحضارة العربية الإسلامية، ناهيك عن ثروة مفرداتها، وعلى الرغم من كونها لغة عريقة وثرية إلا أنها تعرضت ومازالت لمحاولات فاشلة لتشويهها وإضعافها، لتبقى لغة كلاسيكية مهجورة لا يعرفها إلا قلة نادرة، ومن ثم يمكن

التلاعب بأدبها وثقافتها وشريعة الإسلام التي نزلت بها.

ونظرا إلى أهمية اللغة العربية ومكانتها، يهدف هذا البحث إلى الكشف عن التحديات التي واجهت اللغة العربية على مر العصور، ولاسيَّما في القرن الحادي والعشرين، ومحاولة تقديم حلول مقترحة للحفاظ عليها،كما يهدف البحث إلى ذكر جهود المحدّثين والمعنيين بالحديث النبوي الذين لا يألون جهدًا في نشرها وتطويرها من الخلال الدراسَات الحديثية والعربية، وقد تألف البحث من الأقسام التالية:

- المقدمة: وفيها الكلام عن الموضوع وأهداف البحث وأقسامه.
- المبحث الأول: التحديات التي تواجه اللغة العربية.
- المبحث الثاني: حلول مقترحة لمقاومة التحديات.
- المبحث الثالث: مقاومة التحديات من خلال الدراسات العربية التي يقوم بها المحدثون في القرن الحادي والعشرين.
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

هذا وقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي والتوثيقي لمعالجة الموضوع، واستعنت في ذلك بما تيسر لي من المصادر، كما اعتمدت على ملاحظتي وخبرتي الشخصية في الأمور المشهورة التي لا تحتاج إلى توثيق علمي دقيق، وقد حاولت أن أوفي الموضوع حقه، فإن كان كذلك فلله الحمد والمنة، وإلا فالكمال لله تعالى. وأدعو الله تعالى أن ينفعني بهذا البحث المتواضع، ويجعله نافعا للباحثين الأكاديميين وغيرهم، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المبحث الأول: التحديات التي تواجه اللغة العربية:

قبل أن أتحدث عن التحديات التي تواجهها اللغة العربية أرى من المناسب أن أتناول بالبحث تعريف باللغة العربيةوبعض خصائصها،ليعلم بذلك مدى خطورة

التحديات،وضرورة مقاومتها، والسعي لحماية اللغة العربية منها، وفيما يلي بيان بذلك في مطلبين:

المطلب الأول: التعريف باللغة العربية:

اللغة العربية من حيث كونها لغة كغيرها من اللغات، وتعريف اللغة العربية هو التعريف نفسه للُغة من اللغات، وقد عُرِفت اللغة بأنها مجموعة من الأصوات التي يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، كما عرفها ابن جني (392هـ)[1].

ويلاحظ على هذا التعريف أن اللغة ليست عبارة عن أصوات فقط، إذ الكتابة أيضاً لغة، وإن لم يتحدث الإنسان بما كتب، فلو كتب شيئاً ولم ينطق به بلسانه، لا يقال بأنه لم يستخدم اللغة، وقد يكون إنسانٌما لا يستطيع التكلم لآفة فطرية أو طارئة،ولكنه قد يكون يحسن الكتابة، إضافة إلى لغة الإشارة التي تعتبر لغة مستقلة، وهي وسيلة غير صوتية للتواصل بين أفراد المجتمع الذين نسميهم "ذوي الاحتياجات الخاصة" سمعياً أو صوتياً، كما أن لغة الجسد هي الأخرى تعتبر لغة بالمصطلح المعاصر، حيث إن استخدام الإشارات المختلفة، أو الحركات المتنوعة، عن طريق أعضاء البدن في المناسبات المختلفة، ومن قبل مختلف الناس؛ من الخطباء، أو الغواصين، أو رجال الشرطة، أو الجند وغيرهم،حتى الفرد العادي، يعتبر لغة مستقلة، ولها اعتبارها في التخاطب، وإيصال المراد إلى الغير.

فعليه فلا تكون اللغة أصواتاً منطوقة دون كلمات مكتوبة، وإشارات وحركات جسدية معتبرة في التخاطب والتفاهم، فكلام ابن جني يمكن أن يعتبر أنه ركز على البعد البدائي الأكثر شيوعاً في البيئة الإنسانية، حيث إن الإنسان القديم استخدم اللغة عن طريق الصوت أكثر، وقد وجد في المجتمعات القديمة من لم يحسن الكتابة أصلاً، أو لم تتوفر له

1ينظر: ابن جني، الخصائص: 33/1، عالم الكتب، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار.

أدواتها ووسائلها في بعض الأحيان، كما أن استخدام لغة الجسد ليس وسيلة أساسية في التواصل، وإنما هي ضرورات طارئة أو مكمّلات ومحسنّات لغوية في مناسبات خاصة، إضافة إلى أن استخدام الإشارات من قبل ذَوي الاحتياجَات الخاصة يعتبر ظاهرة خاصة مغلقة على أفراد معيَّنين يمثلون قلة نادرة في المجتمعات الإنسانية عموما.

فجمعاً بين هذه الأمور المذكورة التي تمثل أهمية معتبرة في التواصل البشري يمكن أن يقال بأن اللغة: ظاهرة اجتماعية تستخدم للتخاطب والتفاهم بين الناس سواء كان لفظيا أو غير لفظي، وسواء كان منطوقاً أو مكتوبا[2].

المطلب الثاني: بعض خصائص اللغة العربية:

واللغة العربية من أقدم لغات العالم، وهي من اللغات القديمة الحية التي ما زالت تَتحدث وتتعلم، فهي بذلك لغة كلاسيكية معاصرة، وهي لغة قديمة حديثة، قد جمعت بين القديم والجديد في بنْيتها وأسلوبها، فالأدب العربي لا زال غضا طريا، سواء أكان أدبا قديماَ أم أدبا معاصرا حديثا، ومن أبرز ما تميزت به اللغة العربية من بين سائر اللغات الحية في العالم اليوم أنها باقية على شكلها العتيق وقالبها القديم، فلم يتغير من تراكيبها وألفاظها وصيغها شيء، فالصيغة التي تستخدم اليوم في التخاطب والتواصل، أو الكتابة والإنشاء هي الصيغة نفسها التي كان يستخدمها العرب في الجاهلية، ولم يتيسر لها هذا التميز إلا بفضل الإسلام وفضل القرآن الذي هو كلام الله تعالى، الذي قد تكفل بحفظه وبقائه ودوامه إلى آخر الدهر، وهذا هو القرآن الذي حفظ لها قِدَمها وعراقتها وأصالتها، وهو الذي حمى صيغها وأساليبها العريقة من الضياع والفقدان، فاللغة العربية في الحقيقة رمز الإسلام ومفخرة العرب، لا لكونها لغة العرب، بل لكونها لغة القرآن ولغة الإسلام!

2 ينظر: جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: ص/ 51، سلسلة عالم المعرفة 1990/1/145م.

وأما التحديات التي تعرضت للغة العربية، فهي متعددة وذات أبعاد خطيرة، وقد ظلت هذه التحديات تهدد اللغة العربية منذ بدايات الاستعمار الغربي للدول العربية، وخاصة في عصر ما بعد الاستعمار العسكري،فإن بقاياه قد بقيت في البلاد العربية في صور شتى لا زالت تسيطر على أذهان كثير من المستغربين،الذين يرددون دعاوي أشياخهم في هجماتهم على اللغة العربية.

ومن أبرز التحديات التي تعرضت للغة العربية في العصر الراهن ما يلي:

أولًا: دعوى صعوبة اللغة العربية وعسرة نحوها وصرفها وأدبها:

وقد تفوه بذلك بعض أساتذة الجامعات في العصر الراهن،ومنهم طه حسين الذي ادعى أن اللغة العربية عسيرة؛ لأنَّنحوهما ما زال قديماً عسيراً، ولأن كتابتها ما زالت قديمة عسيرة[3]، وقد صدّر كلامه هذا بقوله: "وإذا كان من الحق أن اللغة العربية عسيرة..." إلخ، كأن القضية حق لا مراء فيها، ثم أكد على ضرورة إصلاح العربية في تقرير أعده لتقديمه إلى نجيب الهلالي وزير المعارف سنة 1935م وزعم أن الإصلاح قضية مجمع عليها!! فقال: "الناس مجمعون على أن تعليم اللغة العربية وآدابها في حاجة شديدة إلى الإصلاح"، كما زعم أن سبب نفور الطلبة عن تعلم العربية يرجع إلى "أن اللغة العربية وما يتصل بها من علوم وفنون ما زال قديماً في جوهره، بأدق معاني هذه الكلمة، فالنحو والصرف والأدب تُعلَّم الآن كما كانت تعلم قبل ألف سنة"[4].

ثانيا: دعوى العقم والجمود:

ادعىبعضهم أن اللغة العربية عقيمة لا تنجب، جامدة لا تتجدد، وقاصرة عن أداء المعاني

3 طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر: ص/ 152، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة.

4 محمود مهدي الإستانبولي، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء: ص/206، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1983م.

الجديدة والمفاهيم العصرية التي تكتشفها العلوم الكونية والتقنية المتجددة!

وإليه أشار شاعر النيل مُحَمَّد حافظ إبراهيم بقوله:

رموني بعقم في الشَّباب وليتني	عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي[5]

وسبب ذلك أن بعض أبناء العربية لما رأى تقدم أوروبا ورقيها في ميادين المعرفة الكونية وسيطرتها العسكرية على كثير من البلاد العربية،ورأى تخلف المسلمين والعرب في تلكم المجالات ظن أن سبب تخلفهم ذلك راجع إلى لغتهم وثقافتهم العربية والإسلامية! وانضم صوت هؤلاء المنهزمين إلى صوت الاستعماريين والصليبيين والصهيونيين والمستشرقين الحاقدين على الإسلام الذي ادعوا أن اللغة العربية لا تصلح لمواكبة العصر ومخترعاته، ولا تصلح لأن تكون لغة الحياة المعاصرة!

ثالثا: دعوى أن اللغة العربية ليست لغة الحضارة والإبداع:

قام بعض المستشرقين وتبعهم في ذلك بعض أبناء العربية باتهام اللغة العربية بأنها لا تصلح للحضارة والإبداع، بل إنها تقتل الإبداع وتميت الابتكار، لكونها جامدة ومعقدة، ولكون كفاءتها العلمية ضئيلة، ومراجعها قليلة في ميادين العلم والمعرفة والتحقيق العلمي[6]!

رابعا: الدعوة إلى "الحداثة" المخترعة القائمة على تعقيد اللغة العربية وتفجير دلالاتها وتحويلها إلى ركام من الكلمات الغامضة والألفاظ المبهمة التي تعجز عنها مدارك ذوي الألباب فضلا عن القارئ العام، وذلك لتنفر عنها الطباع وتستصعبها الفهوم، ويرميها أبناؤها وراء ظهورهم ويشتغلوا بغيرها من اللغات الأجنبية.

5حافظ إبراهيم، المؤلفات الكاملة، الديوان: ص/ 136، مؤسسةهنداويللتعليموالثقافة، القاهرة، 2012م.

6ينظر: هاني مُحَمَّد يونس بركات، الاستشراق والتربية: ص/ 112-127، دار الفكر، عمان الأردن، 2003م.

خامسا: دعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية:

وذلك محاولة منهم أن يتم إقصاء العربية وتفكيك شخصيتها حتى يتسنى لهم التلاعب بها، وبمضامينها الدينية والأدبية، وقد قام بهذه الدعوة بداية المستشرقون بدعوى تسهيل الطباعة، ومنهم "ولهلم سبيتا" الذي يعتبر رائد هذه الحركة، والذي دعا إلى ذلك في كتابه: " قواعدالعربيةالعامةفيمصر" الذي ألفه عام 1880م[7].

سادسا: استبدال اللهجات العامية باللغة الفصحى بدعوى ازدواجية اللغة:

هذه الدعوة كانت من قبل الاستعمار الصليبي والمستشرقين ثم تبعهم في فيها بعض أبناء العربية ممن تعلم على أيديهم ودرس في جامعاتهم، فرجع أولئك المستغربون بعقول غربية وأفكار إلحادية، فقللوا من أهمية اللغة الفصحى وشجعوا العامية وأرادوا لها أن تكون لغة التخاطب والتعامل!

وقد ادعى المستشرقون أن اللغة العربيةتتسم بالازدواجية، وكان مرادهم أن العرب يستخدمون لغتين إحداهما فصحى والأخرى عامية أو الدارجة، وهذا غير منطقي بزعمهم! وأن العرب هم الأمة الوحيدة بين جميع الأمم الذين يستخدمون لغتين؛ إحداهما للتخاطب والأخرى للكتابة والقراءة والتعامل الرسمي، والأمم الأخرى لا تفعل ذلك بزعمهم[8]!

سابعا: ظاهرة طغيان الكلمات الأجنبية على اللغة العربية عن طريق الإعلام:

لقد صار من عادة بعض الإعلاميين والإذاعيين الذين يقدمون البرامج التلفزيونية والإذاعية أن يستخدموا كلمات أجنبية في ثنايا كلامهم، فيكثرون من ترداد بعض الكلمات الإنجليزية مثل: أوكي (Ok)؛ براوو (Bravo) وغيرها من الألفاظ التي يرددونها ويزينون بها

7ينظر: هاني مُحَمَّد يونس بركات، المصدر نفسه: ص/ 110-111.

[8]ينظر: هاني مُحَمَّد يونس بركات، المصدر نفسه: ص/ 105-107.

كلامهم كما يظنون!

هذه أبرز التحديات التي تواجه اللغة العربية، وإن كانت هذه التحديات قد وجهت كسهام مسمومة إلا أنها رجعت إلى حيث جاءت في أفواه أصحابها، واللغة العربية أثبتت قوتها لمقاومتها ولمواكبة العصر الراهن، وسيتضح ذلك أكثر من خلال محتوى المبحث القادم.

المبحث الثاني: حلول لمقاومة التحديات

تقدم في المبحث السابق بيان بأبرز التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الراهن، وهنا سوف أحاول إلقاء الضوء على حلول مقترحةلمقاومة تلك التحديات، حتى تنجلي ويتسنى للعربية رقيها وازدهارها، وبقاؤها نقية صافية في ثيابها القشيبة وربوعها الخصبة، وفيما يلي أقترح أهم تلك الحلول:

أما دعوى صعوبة اللغة العربية فيقال بأنها دعوى فارغة، يهتف بها من ليس له خبرة بها، وبسهولتها ومرونتها، وكيف يستقيم الادعاء بأنها صعبة وهي لغة وحيدة منتشرة على نطاق أوسع في أنحاء العالم يتعلمها الصغير والكبير والعربي وغير العربي من المسلمين الذين يقرءون القرآن الكريم ويحفظونه في صدورهم ويفهمون معانيه وتفسيره!

وكيف يصح أن توصف العربية بالصعوبة وهي من أكثر اللغات مرونة في التعبير، حيث إن بعض اللغات تفرض على مستخدميها –علي سبيل المثال– التقيد بترتيب الفاعل والفعل والمفعول في تكوين الجملة؛ فيجب في بعض اللغات أن يتقدم الفاعل على الفعل ويجب أن يتأخر المفعول عنهما، فيقال مثلا: مُحَمَّد أكل تفاحاً، وأما العربية، فلَك أن تقدم الفعل فتقول: أكل مُحَمَّد تفاحاً، ويحوز لك أن تقدم الفاعل وتقول: مُحَمَّد أكل تفاحاً، ويسوغ لك أن تقدم المفعول وتقول: تفاحاً أكل مُحَمَّد، كما يباح لك أن تقدم الفعل ثم تذكر المفعول وتؤخر الفاعل وتقول: أكل تفاحاً مُحَمَّد، وهكذا، فأنت حر تستخدم كيف تشاء، وهذا من مرونة اللغة العربية التي قل أن تجد لها نظيراًفي غيرها من اللغات.

وأما دعوى بأن اللغة العربية عقيمة جامدة فهذا جهل عن الحقيقة، فاللغة العربية أغنى لغات العالم مفردة، فمفرداتها تجاوزت اثني عشر مليون كلمة، حيثنقل العلامة السيوطي عن حمزة الأصبهاني أن الخليل ذكر في كتاب (العين) أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل علىمراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر: (12,305,412)[9]، بينما نجد أن اللغة الإنجليزية لا تحتوي إلا على مائة ألف كلمة(100,000) واللغة الفرنسية على خمسة وعشرين ألف كلمة (25,000) فقط)[10].

وهذا ما أشار إليه حافظ إبراهيم بقوله:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقتُ عن آي به وعظات
فكَيف أَضيق اليوم عن وصف آلَة	وتنسيق أَسماء لمخترعات
أَنا البحر في أَحشائه الدرُّ كامن	فهل سأَلوا الغواص عن صدفاتي[11]

وأما بقية التحديات التي تقوم في وجه العربية وتحاول إضعافها أو إقصاءها وتسعى جاهدة إلى السيطرة عليها فيمكن تفاديها ومواجهتها من خلال الخطوات التالية:

أولاً: إبراز صلاحية اللغة العربية لتكون لغة الحضارة العالمية فضلاً عن الحضارة العربية والإسلامية، وبيان أنها الوعاء الأوسع لتمثيل الحضارة نظراً إلى غيرها من اللغات؛ لكونها أغنى لغات العالم، وذلك من خلال مختلف الوسائل والأساليب المتطلبة لتحقيق هذا

9ينظر: السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/59-60، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ- 1998م، الطبعة الأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور.

10ينظر: الندوي، مُحَمَّد نعمان الدين،لغة القرآن الخالدة بين مقومات الخلود ومظاهر الجمود، مجلة الأدب الإسلامي، ص/73، عدد 7، السنة الثانية، 1995م.

11حافظ إبراهيم، المصدر السابق/ 137.

المطلب.

ثانياً: التأكيد أن اللغة العربية تتسع للحداثة والتجديد ولكن ليس بالمعنى الذي يرمي إليه الحداثيون من التعقيد والإبهام والتنفير، بل الحداثة والتجديد معنى مطلوب لمواكبة العصر، والتعبير عما في الوجود من معان غامضة بعبارة واضحة، وأسلوب معاصر يلائم ومدارك النشء الجديد، مع ضرورة اعتبار معايير نقديةووضع مفاتيح فنية تنظم سير الشعر الحديث وتكشف عن جماله ليستمتع به القارئ، لا أن تكون الشعر الحديث عبارة عن ألغاز لا تنحل وأحاجي لا تفهم!

ثالثاً: العمل على إيجاد الاعتزاز باللغة العربية في نفوس أبنائها ومتعلميها من أبناء العالم الإسلامي، والتركيز على ضرورة تعليم الخط العربي للناشئة، حتى لا يطغى عليهم استخدام الحروف اللاتينية،وخاصة في عصر الانترنيت ووجود وسائل التواصل الاجتماعي،حيث يكثر استخدام الحروف اللاتينية من قبل من يعرف لغته تحدثاً ولا يجيدها كتابتها! أو يستثقل كتابتها لتعوده على ممارسة لغة أجنبية! وذلك لأن نسيان الخط العربي، أو ترك استخدامه،قد يؤدي غلى تغييره بخط لاتيني وهو أول لبنات هدم اللغة العربية والتلاعب بتراثها!

رابعاً: ضرورة استخدام اللغة العربية في التعامل اليومي والمحادثة العامة حتى تكون سهلة ومفهومة لدى الجميع من أبنائها، أما اللهجات الدارجة فالأحسن أن تَضيَّق دائرة استخدامها حسب الضرورة، مع العلم بأن اللغة العامية لا تعارض الفصحى، وأن الفصحى والعامية تتعايشان تعايشاً سلمياً لا تطغى إحداهما على الأخرى، وهذه الظاهرة موجودة في معظم اللغات الحية في العالم، ولا تخلو لغة من لغات العالم من لهجات محلية دارجة، كما أن هذه اللهجات تختلف من بلد لآخر وإن كان اللغة الأم واحدة للبلدين

كليهما، كما هو حال اللغة الأردية التي تنطق في الهند وباكستان، فاللغة الأردية الفصحى بين البلدين واحدة ولكن اللهجات المحلية فيهما بل وفيمناطق داخلية فيهماكثيرة ومتنوعة، فلهجة أهالي دلهي تختلف عن لهجة أهالي لكهناؤ، عن أهالي حيدرآباد وهكذا، ومهما اختلفت اللهجات فإن اللغةالفصحى هي المعين الأول والحصن المنيع والمرجع الأخير لكل أبناء الشعب الواحد الذين يتحدثون لغة واحدة.

خامساً:ضرورة تقيد القنوات التلفزيونية وبرامج الإذاعة باستخدام اللغة الفصحى، وتتجنب استخدام الكلمات الأجنبية.

سادساً: ضرورة كتابة اللافتات ولوحات الإعلانات والدعايات المختلفة باللغة الفصحى، وتجنب العامية واللغات الأجنبية.

سابعاً: ضرورة إعادة الثقة في اللغة العربية الفصحى، وغرس الاعتزاز بها في نفوس أبنائها لمواجهة الهجمة الشرسة التي توجه إليها.

ثامناً: ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية الفصحى للعمالة الوافدة إلى البلاد العربية وخاصة بلاد الخليج العربي، من الناطقين بغيرها، حتى يتم تحقيق هدفين ساميين:

أحدهما: تحقيق انتشار اللغة العربية على نطاق أوسع.

ثانيهما: مقاومة تحدي فساد اللغة في التعامل اليومي؛ لأن كون العامل الوافد من بلاد غير عربية، وعدم تعلمه للغة العربية، يؤدي إلى استخدام لغة متكسرة، من قبل أبناء العربية بغية تيسير التعامل مع الوافد، ولكن ذلك يؤدي في الأخير إلى اعتياد استخدام اللغة العامية والمتكسرة، وتناسي وضآلة استخدام اللغة الفصحى.

وهكذا يمكن التغلب على التحديات التي تواجه اللغة العربيةمن خلال الحلول التي اقترحها الباحث، والحفاظ على أصالة اللغة العربية وعراقتها، والعمل على تطويرها، لتواكب العصر الحديث والتغيرات التقنية المعاصرة،وسيأتي في المبحث القادم مزيد إيضاح للحلول المقترحة من خلال إبراز جهود المحدثين في القرن الحادي والعشرين في الدراسات الحديثية والعربية.

المبحث الثالث: جهود المحدثين في مقاومة التحديات من خلال الدراسات العربية في

القرن الحادي والعشرين

لقد تنوعت الجهود التي يبذلها المحدّثون والمعيّنون بدراسة الحديث النبوي في القرن الحادي والعشرين لمقاومة التحديات التي تَواجه اللغة العربية؛ فيقومون بإرساء قواعدها،وتثبيت أركانها، لتبقى بوجودها الصامد القوي في وجوه المعارضين الذين يريدون لها الزوال والضياع، وأنى لهم ذلك! وقد هيأ الله تعالى بفضله وكرمه من أهل الحديث والمحدثين والمهتمين بالسنة النبوية من ينوعون جهودهم ويكثرون من استخدام الوسائل المختلفة التي تساعد في نشر اللغة العربية، وتقوي صلتها بأبنائها وأبناء المسلمين في أنحاء العالم كافة، وتضمن بقاءها واستمرارها بثبات لا يتزلزل وصمود لا يضعف.

وفيما يلي أذكر أبرز تلك الجهود:

1– تأسيس وإدارة مدارس وجامعات إسلامية تعنى بتدريس اللغة العربية:

فقد قام المحدثون والمعنيون بالحديث النبوي في العصر الراهن بتأسيس المدارس والجامعات العربية والإسلامية داخل الهند وخارجها، وما زالوا يقومون بإنشاء الجديد منها، وهي تسير سيراً حثيثاً نحو أهدافها النبيلة ومقاصدها السامية في تعليم اللغة العربية التي لا يمكن دراسة الحديث النبوي وفهمه على الوجه الصحيح إلا بتعلمها وإتقانها، ولا أرى كبير حاجة إلى تعداد أسماء تلكم المدارس والجامعات سواء في بلادنا –شبه القارة الهندية– أم في البلاد العربية وغيرها من بلدان العالم أجمع، فإنها معلومة ومشهورة كشواهق الأعلام التي على رؤوسها نار ملتهبة.

كما أقام المحدّثون في مدارسهم وجامعاتهم في شبه القارة الهندية "مشيخات الحديث النبوي"، ولقبوا من يشغلها بـ "شيخ الحديث"، ويهتمون بتدريس الحديث النبوي باللغة العربية مباشرةفي مراحل التعليم الأخيرة، حيث يقوم الطلاب بقراءة الحديث النبوي على الشيخ، وأحياناً يحتاج بعضهم إلى إيضاح المراد فيقوم الشيخ بالشرح والبيان مما يزيد الطالب فهماً للحديث واللغة، ويقوي ملكته لفهم الكلام العربي من خلال السنة النبوية.

2– إنشاء كليات خاصة بدراسة الحديث النبوي، ككلية الحديث الشريف في بنگلور،

الهند، وكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وغيرها.

3– فتح أقسام علمية متخصصة في الكليات والجامعات تعنى بدراسة الحديث النبوي، وفيما يلي ذكرها بإيجاز على سبيل المثال لا الحصر:

ففي الجامعة الإسلامية تم فتح قسم فقه السنة ومصادرها، وقسم علوم الحديث، كما اهتمت جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بفتح قسم السنة وعلومها، وكذلك فتحت جامعة أم القرى بمكة المكرمة قسم الكتاب والسنة، وغيرها من الجامعات العربية والإسلامية في المملكة العربية والبلاد الإسلامية إضافة إلى الجامعات العصرية العالمية التي تهتم بالحديث النبوي من خلال أقسام الدراسات الدينيةوالعربية والإسلامية فيها.

4– وضع المحدّثون مناهج لغوية وحديثية في المراحل التعليمية الأولى يدرس فيها الطالب علوم اللغة اَلعربية والحديث النبوي.

5– عقد الدورات التدريبية لدراسة السنة النبوية وتعليم اللغة العربية.

6– إعداد الرسائل العلمية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في الحديث النبوي باللغة العربية، وإذا كانت الرسالة العلمية تكتب باللغة العربية فلا شك أن الطالب يحتاج أولاً إلى أن يكون على دراية تامة لمبادئ اللغة العربية، وخبرة كافية في القراءة والكتابة والإنشاء، حتى يتسنى له الشروع في التأليف، والإتقان في البحث، إضافة إلى قواعد الإملاء العربي، وصياغة الكلام، ورشاقة الأسلوب، وبديع المعاني التي تزيد من جمال الرسالة وقيمتيها العلمية والأدبية.

7– تحقيق الكتب التراثية في تخصص الحديث باللغة العربية، ومعلوم أن التحقيق يتطلب التوثيق العلمي والتعليق والشرح وإيضاح المبهم سواء من الكلمات العربية الغريبة أم التراكيب النحوية والصرفية والمعاني البلاغية وغيرها.

8– يقوم المعنيون بالحديث النبوي بكتابة البحوث والدراسات العلمية المتعمقة باللغة العربية التي تخدم تخصصاتهم والتي يتم تحكيمها من قبل متخصصينفي الفن واللغة حتى

تسلم من الأخطاء العلمية واللغوية والأسلوبية.

9– إصدار مجلات علمية متخصصة محكمة، وتكوين هيئة تحرير لها تقوم بتحكيم البحوث والدراسات المقدمة إليها علمياً ولغوياً وأسلوبياً، ومن المجلات العلمية المحكمة التي تعنى بنشر البحوث الحديثية وغيرها:مجلة الإسلامية بالمدينة النبوية؛ ومجلة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ؛ مجلة جامعة أم القرى؛ ومجلة "دراسات إسلامية"،التي تصدر عن وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة السعودية؛ ومجلة "الحديث"، التي يصدرها معهد دراسات الحديث النبوي في ماليزيا بالجامعة الإسلامية العالمية بثلاث لغات: العربية والملايوية والإنكليزية، وغيرها من المجلات الكثيرة.

10– تأليف الكتب الحديثية شرحاً وتعليقاً باللغة العربية، وإعادة صفها وتنسيقها على الطريقة الحديثة ونشرها عن طريق دور النشر والمطابع المعاصرة.

11– إلقاء الدروس في الحديث النبوي وشرح كتب السنة باللغة العربية عن طريق شرحها في حِلَق العلم في المساجد، ومن أبرز من يقوم بهذا العمل الجليل حالياً فضيلة العلامة المحدث عبد المحسن بن بدر العباد متعه الله بالصحة والعافية، حيث يواصل شرح الكتب الستة منذ أكثر من خمس وعشرين سنة وقد أكمل شرحها كاملة مرة، ولا زال يدرسها في المسجد النبوي الشريف، وقد استفاد منه القاصي والداني والمقيم والزائر وخلق كثير.

كما يدرس مشايخ آخرون ويشرحون كتب الحديث في مدن المملكة المختلفة، ومنهم الشيخ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي الذي يدرس صحيح مسلم في المسجد النبوي، و الشيخ المحدث عبد الكريم الخضير الذي يدرس سنن أبي داود وغيره.

12– عناية المحدثين وأهل الحديث بتحرير المصطلحات الحديثية باللغة العربية، وبيان المراد منها عند أصحاب الفن، إضافة إلى توضيح معانيها اللغوية التي تنطلق منها المعاني الاصطلاحية، ومنهامصطلح "مقبول" من الرواة؛ "الزوائد" في الأحاديث؛و"العلّة"؛ و"المجهول"، وغيرها من مصطلحات علم الحديث التي شرحوها في رسائل علمية.

13– عناية المحدثين ببث السنة النبوية باللغة العربية عبر إذاعة القرآن الكريم بالراديو من إذاعة الرياض، وقد اهتمت الإذاعة بالبرامج الإسلامية المختلفة، ومنها برامج خاصة بنشر السنة النبوية مع شرحها،وعلى سبيل المثال:

- شرح سنن أبي داود للشيخ عبدالمحسن العباد.
- شرح التجريد لصحيح البخاري للدكتور عبدالكريم الخضير.
- شرح مختصر صحيح مسلم للدكتور عبدالله المطلق.

وغير ذلك من البرامج الحديثية التي تبث على الإذاعة القرآنية.

14– جهود المحدثين في الدراسات العربية ومقاومة التحديات التي تواجهها من خلال إنشاء جوائز علمية عالمية لخدمة السنة النبوية، ومنها "جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة"، إضافة إلى مؤسسة "جائزة الملك فيصل العالمية" التي منحت الجائزة لمحدث العصر الحديث الإمام مُحَمَّد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

15– جهود المحدثين في القرن الحادي والعشرين عن طريق عقد مسابقات لحفظ السنة النبوية، وذلك من خلال الجامعات والمدارس والجمعيات والجوائز المختلفة؛ ففي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تعقد المسابقات الحديثية بين الطلاب سنوياً، كما أن مدارس الهند تعنى بعقدها بين طلابها،ومنها الجامعة الإسلامية سنابل بنيو دلهي، وكذلك الجمعيات الهندية والعالمية، ومنها: جمعية أهل الحديث المركزية التي عقدت عدة مسابقات لحفظ السنة النبوية في السنوات الماضية، وكذلك جائزة الأمير نايف للسنة النبوية تعقد مسابقات محلية لحفظ الحديث النبوي بين طلاب المتوسطة والثانوية في المملكة، وكل ذلك يساهم في نشر اللغة العربية وتطويرها ومنع زوالها وتقويتها لمواجهة التحديات التي تهدد وجودها.

16– جهود المحدثين في القرن الحادي والعشرين عن طريق إعداد برامج الحاسب الآلي، والمكتبات الإلكترونية المختصة بالسنة النبوية باللغة العربية، وقد تزايد نشاطهم في عصر الانترنت، ولاسيما بعد ظهور الجوالات الذكية، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، حيث قد واكب المحدّثون تطورات التقنية المعاصرة، فقاموا ببرمجة كتب السنة بجميع الطرق

الميسرة، فمن مستندات حاسوبية قابلة للتعديل والتحرير، كمستندات (word) و (epub)، إلى مستندات مصورة متنقلة (pdf) و (djvu) وغيرها من الصيغ الحاسوبية، إلى مكتبات إلكترونية مثل: المكتبة الشاملة، الحرة التي يمكن لأي مستخدم أن يضيف فيها ما يشاء من الكتب، ومكتبة "الجامع الكبير" التي أصدرته شركة التراث، وبرامج شركة صخر التي أنتجت من الموسوعات الحديثية عدة إصدارات، إضافة إلى تطبيقات أندرويد وآيفون للكتب الحديثية، ومواقع خاصة بالكتب وتحميلها وقراءتها، وقواعد المعلومات الحديثية على الشبكة العالمية (الانترنت) التي لا تعد ولا تحصى.

فهذه الجهود المشكورة للمحدثين في القرن الحادي والعشرين قد أسهمت وبشكل كبير في تطوير اللغة العربية وانتشارها في شتى بقاع الأرض، وضمان بقائها واستمرارها من جهة، وإثبات صلاحيتها لاحتواء تطورات التقنية والعلوم التطبيقية والمصنوعات الحديثة من جهة ثانية، ودحض مزاعم المستشرقين وأذنابهم بعقمها وجمودها من جهة ثالثة.

الخاتمة

هذا، وقد توصل الباحث إلى نتائج مهمة من خلال بحثه، وفيما يلي ذكر أبرزها:

1. أن اللغة العربية تعرضت لتحديات مختلفة، من أبرزها: دعوى الصعوبة فيها؛ وأنها عقيمة جامدة؛ وأنها ليست لغة الحضارة والإبداع؛ إضافة إلى الدعوة إلى الحداثة المنحلة المعقدة للتنفير عن العربية؛والدعوة إلى استبدال اللهجات العامية باللغة الفصحى بدعوى الازدواجية؛ وظاهرة تغلب كلمات أجنبية على ألسنة بعض المذيعين والإعلاميين.
2. تم تقديم حلول متنوعة لمقاومة التحديات، ومن أبرزها: عدم صحة وصف العربية بالصعوبة؛ لكونها أكثر اللغات مرونة في التعبير، أغناها مفردة، فمفرداتها تجاوزت اثني عشر مليون كلمة، وقد ركز البحث على ضرورة الالتزام بخطوات متعددة رآها الباحث نافعة لضمان بقاء اللغة العربية ناصعة صافية ولتطويرها لمواكبة العصر الراهن ومتطلباته المتكاثرة وتغيراته المتواصلة.

3. تم تسليط الضوء على أبرز جهود المحدثين والمعنيين بالحديث النبوي في القرن الحادي والعشرين في الدراسات الحديثية والعربية،ومنها: قيام المحدثين بإنشاء المدارس والجامعات، وفتح الكليات والأقسام المتخصصة،ومراكز البحث العلمي، وإصدار مجلات علمية محكمة، تعنى بالدراسات الحديثية باللغة العربية، وتأسيس جوائز عالمية لخدمة السنة النبوية، وعقد المسابقات لحفظها، بالإضافة إلى استخدامهم لبرامج الحاسوب،وإصدار مكتبات إلكترونية، وقيامهم بإنشاء مواقع الانترنت لكتب السنة،واستخدامهملوسائل التواصل الاجتماعي، والقنوات التلفزيونية والإذاعية لبث السنة النبوية باللغة العربية في شتى بقاع الأرض.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة المصادر والمراجع

1- أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، الخصائص، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار.

2- جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة 1990/1/145م.

3- طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، ط/2، القاهرة.

4- محمود مهدي الإستانبولي، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/1، 1403هـ- 1983م.

5- حافظ إبراهيم، المؤلفات الكاملة، الديوان: مؤسسةهنداويللتعليموالثقافة، القاهرة، 2012م.

6- هاني مُحَمَّد يونس، الاستشراق والتربية، دار الفكر، عمان الأردن، 2003م.

7- جلال الدين السيوطي (911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ 1998م، ط/1، تحقيق: فؤاد علي منصور.

8- الندوي، مُحَمَّد نعمان الدين، لغة القرآن الخالدة بين مقومات الخلود ومظاهر الجمود، مجلة الأدب الإسلامي، عدد 7، السنة الثانية، 1995م.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)